

المستقبل للغة العربية الفصحى

الأستاذ هنري فليش
(جامعة بيرزرت)

(المنوفى سنة 177هـ) وهو تصنيف ينطوي على أهمية تصوى . فكل الأدب العربي الإسلامي قد كتب في هذه اللغة البيانية الخاصة للقواعد ، والمثبتة ، ولكن مع بعض تنازلات توجب عليه مع الزمن ، ان يسلم بها اللسان العربي المتوسط . وكانت اللغة العالمية وهي لغة حية ، تسير على سنتها الطبيعية : كانت تتطور . وما الوضع الحاضر سوى استمرار واسع للوضع اللغوي الأول في عهد الخلفاء : لغة كتابية تقتصر على قواعد كتاب سيبويه ولغة محكية عامة كثيرة التنوع . بعد ترون من تطور هذه اللغة الحية .

ولابد للعالم العربي الإسلامي الحاضر ، كى يرى بجلاء في وضعه اللغوي ، من ان يعرف ما يلي : اولا ، انه يمكن العيش مع لغة كتابية للتcamea ولمجات متقدمة ، ولنا مثل على ذلك من اللغة الالمانية . الا انه ينبغي له ان يسد نقصين خطيرين ، اولهما السعي ، على الاقل من اجل الاستعمال العام ، لايجاد وسيلة تتيح وضع علامة على الحروف الصوتية القصيرة في طريقة الكتابة العربية ، وثانيهما تجديد مبادئ الصرف والتحو الفقيدة والمعقدة والمستكرونة ، ثم ان اللغة العربية الفصحى الحديثة متاخرة عن زمانها ثلاثة ترون من الواجب اللحاق بها ، اجل ان هناك عملا قد تم . ولكن يقتضي هذه اللغة ان تتبع تطورا يكون كتطور جسم عضوي . ولا يمكن بلوغ الغرض الا بواسطة كتاب محدثين ، متشبعين من الاتقمين ، بواسطة كتاب حقبيين ، واسمعى الثفافة ، يتصورون عالمهم بلغة عربية فصحى صحيحة وحديثة . واخيرا ، ان المستقبل هو للغة العربية الفصحى الحديثة ، ذلك لأن ما للغة الادبية من نفوذ بعيد المدى يقطع الطريق ، الان والى امد طويل ، على كل محاولة ترمي الى اقامه لهجة ثانية باللغة العامة . وليس بمجد ان تحقر اللهجات التي هي من جهة اخرى ، مصدر تعاليم لغوية .

أهدتنا المطبعة الكاثوليكية بيروت كتابا قيما للأستاذ المستعرب هنري فليش Henri Fleisch بالفرنسية حول اللغة الفصحى واللغة العالمية ، نقبس منه مقدمته شاكرين للاستاذ الكريم دفاعه عن لغة الشاد التي هي القوم الجوهرى لوحدة الشعوب العربية في الحقل الثقافي : وقد ارفق سعادته هذا البحث بمنكرة حل فيها اسئلة الاستفتاء :

قال سعادته :

ان الموقف العام الذي يتخذه العالم العربي الاسلامي حيال لهجات بلدانه يتضح كما يلى : لهذا العالم ليس بمطلع على الامر اطلاعا صحيحا اذ انه لا يعرف ما المقصود بلهجة وما المقصود بلغة عامة . كما يجعل الدور الذي اضطاعت به اللهجات واللهجة العامة في حياة العرب .

وعليه ، نرى صاحب المقال يعرض اولا مناهيم علم اللغة العام حول هذين الوضعين من اللغة : اللهجة ، وهي الحالة الطبيعية للغة ما ، واللغة العامة التي هي امتداد ونبأ لهجة نوق اللهجات الأخرى ، بفضل ظروف خاصة ، لتحول محل لغة علاقة وتنافى ، وكل ذلك معزز بمثل اربع من اللغات الاوربية الكبرى . ثم انه يبحث اثر اللهجة واللهجة العامة في ثلاثة اوضاع تاريخية كبرى من حياة العرب اللغوية .

وضع اول : الحالة اللغوية في الجزيرة العربية ، على ا أيام الجاهلية .

منجد لغة عامة للشعر واللهجات .

وضع ثان : المشاكل اللغوية التي اعترضت العالم العربي الاسلامي ، مباشرة بعد الفتوحات المظلمية ، حتى منذ موت الخليفة عمر بن الخطاب (24هـ - 644م) . فتحقق منذ هذا التاريخ مقدان الاعراب في كلام المستعربين ، مما يشكل بداية اللغة العالمية والضرورة الحيوية لمبادئ في الصرف والتحو . وضع ثالث : ارساء اللغة الادبية على القواعد بفضل جهود النحاة . ويقصص عن ذلك كتاب سيبويه

مستقلة ذات اطار مستقل متميز ولقد تجلى هذا الاتجاه قوياً واضحاً عند بول كلي P. Klee ونالارد Nailard وهوفر Hoeffer وديغوتكس Manessier وتروكس Trox ومانوسبي Degottex

اما اعمال كلي التي تتضمن نماذج عن الخط الجميل العربي او غيره من الخطوط فهي كثيرة ومتنازة بالتطوير والتحوير . ولقد استبرأ كلي الخط العربي الذي يكتب من اليمين الى اليسار (19) نظراً لأن كلي كان اعسر بل كان يستطع التصوير باليد اليسري بنفس قوة اليد اليمنى ، وكان يطيب له ان يكتب جيلاً برمتها باللغة العربية باشكال الخط العربي الجميل ولكن دون ان يكون بمقدوره مراعتها او فهمها مع أنه حاول ان يتعلم العربية .

ولقد امتاز اسلوب لويس ناللار (المولود في الجزائر عام 1918) باستعمال الكتابة العربية مع التصوير مستوحياً ذلك من الرقش العربي .

اما كارل جورج هوفر Hoeffer (المولود في سيليسيا عام 1914) فلقد جذبته رشاقة الخط العربي وخاصة النسخي منه فاتماً اسلوبه على اساس هذا الخط . وفي مدينة اوفنباخ في المانيا متحف للكتابة وحسن الخط ضم مجموعات رائعة للخطوط العربية الاثرية كما ضم بعض اعمال هوفر للمقارنة وتحديد التأثير العربي على اسلوبه .

ولم يقتصر الفنانون العرب الحديثون في إلقاء من الحرف العربي في اعمالهم التصويرية الحديثة نذكر منهم ادهم اسماعيل ومحمود حماد وسامي برهان في القطر السوري وحامد عبد الله وسعد كامل من القطر المصري واحمد شبرين من القطر السوداني وغيرهم .

ولقد جال الحرف العربي في ارجاء العالم مع لوحاته وتقى فيها التقى بالحرف العربي في مهاجره على لوحات الفنانين العارضين المعاصرین .

عشر في واجهات الكنائس الرومية ثم رأيناها فيما بعد تختلط في الكنائس الغوطية مع العناصر الواردة من فرنسة » .

ويوضح هذا القول ما نراه في واجهة كاتدرائية انغوليم في فرنسا حيث نرى تمثال المسيح وحوله اسد مجぬن مستوحى من الزخرفة النباتية في الفنون العربية، اما المسيح فان اسلوبه شرقي محض .

وفي لانغدوك في ساحة مواساك اعمدة مزدوجة كلّك الموجودة في الاندلس ذات تيجان مزخرفة برقش عربي وكتابات عربية بالخط الكوفي تعلو الناج ، ولكنها كتابات متنقلة تصعب قراءتها وقد لا تكون لها دلالة قط .

وهكذا انتقل الحرف العربي الى أماكن متطرفة من العالم وتتصدر واجهات الكنائس والاديرة، ولقد كانت صفاته الفنية كعنصر مذ من عناصر التزيين سبب انتقاله واحلاله المكانة الالاتقة من التقدير ولم يحل مضمونه الديني المخالف دون استمارته في اهم الاعمال الفنية والآثار . واستمر ذلك ما بقيت تلك الآثار والواياد قائمة مئات السنين ولم تستطع حتى المصبيات المترمة ان تمحى آثاره مع الايام .

ومنذ بداية القرن الماضي كان ثمة اهتمام من قبل الفنانين والمتكررين بالفن والرقش العربي .

وفي مستهل هذا القرن ، وقد بدلت امة العربية شيئاً فشيئاً اتدر على التعبير عن نهضتها وتراثها ، اشتهد الاهتمام بالعرب وأثارهم وتقاليدهم الفنية . وترکر هذا الاهتمام بالرقش العربي لترابته من مفهوم التجربة التي سرت تقليداً فنياً قوياً في هذا القرن .

ما لا شك فيه يبقى الحرف العربي من اجمل الصيغ المجردة خاصة بالنسبة لانسان لا يفقه دلالة هذا الحرف او ينسى هذه الدلالة لكي يستند من الشكل الجمالي للحرف .

وهكذا ظهر من الفنانين التجريدين المعاصرين في اوروبا من استعمل الحرف العربي مكان مدرسة

(19) انظر فيلكس كلي في كتابه — الكتابة والفن في اعمال بول كلي .